المشكلات الاجتماعية
في الوطن العربي
في المنظور الانثروبولوجي

د . قيس نعمة النوري*

مقدمة :

لا يخفى على طلبة المجتمع والثقافة من خبراء الانثروبولوجيا والسوسيولوجيا أن دوامة التحضر urbanization التي تنتظم عالمنا الحديث ـ خصوصا العالم الثالث ـ هي في طليعة تحديات هذا العصر . ونحن عندما نستعرض معظم المشكلات التي يتردد الحديث عنها في المحافل الاعلامية ، والفكرية ، والعلمية في الوطن العربي نلاحظ أن جوهر هذه المشكلات يكمن على الاخص في الضغوط الناشئة عن التسريع في حركة التغير الثقافي والاجتماعي وما تولد عنها من تحول المعايير من اشكالها الريفية والقروية الى الانماط الحضرية النابعة من تاثيرات التصنيع وملحقاته في المجالات التجارية ، والمهنية ، والتعليمية وما يترتب عليها من نتائج اجتماعية ونفسية تنعكس على حياة الفرد والاسرة في مدننا العربية .

وبعد ان كانت اهم مشكلات الوطن العربي الى زمن غير بعيد تتمحور حول الفقر والامية وتفشي الامراض فانها تقلصت كثيرا في هذه الميادين بفضل التقدم الاقتصادي الكبير وحملات محو الامية والتطور الملموس للخدمات الصحية والوقائية والعلاجية في العقدين المتاخرين ، وصارت تتفاقم في المجالات الفكرية ، والنفسية ، والسلوكية التي تتشكل منها حياتنا الاجتماعية والثقافية الجديدة .

---

* استاذ الانثروبولوجيا الاجتماعية ـ كلية الآداب / جامعة بغداد .

ومن ناحية (الاطر النظرية) Theoretical Framework التي تبرز في بحوث المشكلات الاجتماعية نلاحظ تعددا كبيرا في المنطلقات والمنظورات التي تستثمر من قبل المعنيين بهذا الموضوع · فالمشكلات الاجتماعية مثلا تتعرض لاهتمامات الباحثين من زاوية المنهجية التي ازدهرت تحت مظلة مفهوم التفكك الاجتماعي Social Disorganization وهذا (المنطلق النظري) Theoretical Approach بشكل عام (كما هو معروف) يعتبر المشكلات الاجتماعية بكل اصنافها ومجالاتها حصيلة مدى ما يطرأ على التنظيم الاجتماعي Social Organization العام للمجتمع من تغيير في مجمل علاقاته واختلال الانسجام التام القائم بينها ·

وهناك منطلق معياري Normative Approach رئيسي ازدهر خلال الاربعين سنة الماضية بشكل خاص في كل من الانثروبولوجيا والاجتماع وهو توجه نظري ومنهجي معقد يعتبر المشكلات الاجتماعية بكل صورها حاصلا طبيعيا لتلاشي سلطة القيم الاجتماعية Social values على مفردات الواقع الفكري والعاطفي للافراد في المجتمع · وعليه فالمشكلات الاجتماعية في ضوء هذا المنظور هي تعبيرات متفرقة ومتنوعة يجمعها واقع واحد ذلك هو التحلل المعياري · وتبرير اصحاب هذا الاتجاه الذي يلوحون به لدعم وتعزيز مركزهم الاكاديمي هو أن حركة التغييرات التي تشكل جوهر المشكلات الاجتماعية المعاصرة هي في الحقيقة ليست سوى مجموع ما يطرأ من تحول على القيم التي تحكم الواقع الانساني بجوانبه المختلفة · ومع ان العالم دوركايم يعتبر المؤسس لهذا الاتجاه من خلال النظرية السوسيولوجية التي توصل اليها حول (الانوميا) Anomie (١) الا ان الازدهار الذي حققه جاء نتيجة للجهود العلمية الضخمة التي بذلها ويبذلها المختصون في الانثروبولوجيا الثقافية · ويتآلف فرع (الثقافة والشخصية) Culture and personality كانشط واغنى فروع هذا العلم من حيث غزارة بحوثه حول المشكلات التي تنشأ من اختلال توازن وتكامل الثقافات وآثار ذلك في واقع العلاقات الاجتماعية · ويتجلى في هذا الصنف من البحوث الكثير من تعقيدات صراع الادوار نتيجة لتبدل المراكز الاجتماعية أو انسحاب وتقلص بعض المعايير الرئيسية أمام المعايير

1. Merton, R. K. Social Theory & Social Structure pp. 131-160.

التي يخلقها التحضر والتصنيع · وتكشف هذه البحوث أيضا عن الآثار الثقافية والنفسية الناشئة عن تفكك الصلات القرابية والروحية كما تتجسد في اصناف الاسرة الجديدة وبهذا تسلط الاضواء على العلاقات القائمة بين الثقافات والامراض النفسية الشائعة في ظروف التبدل الاجتماعي(٢) · ويفضل بعض الباحثين الاجتماعيين منظورا يشدد على التكنولوجيا والصناعة كاساس رئيسي لفهم المشكلات الاجتماعية · فمشكلات الانسان المعاصر في الوطن العربي وفي العالم الثالث حسب نظرة هؤلاء تدور بشكل او آخر حول الآثار المختلفة الناشئة عن اتساع ضغوط التكنولوجيا وتسربها الى كافة مرافق الحياة(٣) ·

والى جانب ما تقدم فان بعض الباحثين ينطلقون الى بحث المشكلات الاجتماعية من خلال مفهوم الانحراف الاجتماعي Social Deviance باعتباره عاملا مركزيا يسهم في تدهور العلاقات الاجتماعية واضعاف الفاعلية الوظيفية لمؤسسات المجتمع ·ووأضح ان هذا المفهوم فيه شمولية متميزة تجعله في مقدمة الادوات المنهجية والنظرية لاستيعاب الكثير من مشكلات المجتمعات المعاصرة ، الامر الذي اكسبه جاذبية خاصة بالنسبة لكثيرين من باحثينا العرب وغيرهم من باحثي العالم المتقدم والنامي ·

وبغض النظر عن اختلافات هذه المنظورات والتوجهات الفكرية والنظرية فان دراسة أية من المشكلات الاجتماعية في وطننا العربي تستمد اسسها العلمية من طبيعة تلك المشكلات وما يحيط بها من خصوصيات · وهذا بالطبع يجعل خيارات الباحثين بين مختلف المنطلقات العلمية والمنهجية يختلف باختلاف الموضوعات التي يتصدون لبحثها وسياق الواقع الثقافي والاجتماعي المحيط بدراستها · ولهذا اصبح ضروريا أن تتلاقى اختصاصات وتوجهات أهل الاختصاص الاجتماعي والثقافي والنفسي في وطننا العربي في صيغ نظرية وميدانية تمنح الباحثين درجات اعلى من المرونة والواقعية لتغطية المشكلات الاجتماعية المختلفة في ضوء تكامل والتحام هذه الاختصاصات والتوجهات في اهدافها النهائية ·

---

2. Mead, Margaret. Cultural Patterns and Technical Change. pp. 11.

3. Spicer, E. H. Human Problems in Technological Change. pp. 13-20.

اولا : التكيف ومشكلاته :

الحياة الاجتماعية بكل مرافقها في وطننا العربي قد اكتسبت زخما متزايدا في كافة جوانبها وعلاقاتها مما فرض حالات فكرية ونفسية تتصف بدرجات عالية من الدينامية والتعقيد . وواضح ان التحولات الشاملة التي انتظمت تركيباتنا خلقت ضغوطا فكرية وانفعالية لم تعد تسمح للعلاقات باتساقيتها التقليدية . ومما يجعل عملية التكيف لهذه الضغوط مسالة شاكة هو الفجوات والتناقضات القائمة بين انماط الفكر والسلوك والاداء العملي والوظيفي المطلوبة في مرافق حياتنا المتعددة والانماط التقليدية التي اعتاد عليها الناس والفوها فاصبحت جزء لا يتجزأ من خلفياتهم الاجتماعية والنفسية الرئيسية . ومن الواضح أن الانسان العربي بغض النظر عن مركزه والفئة التي ينتمي اليها يواجه اليوم حاجة ملحة تستدعي منه تقليص التناقضات الموجودة بين ما ألفه واعتاد عليه وبين ما استجد من العناصر الثقافية والاجتماعية والتقنية الجديدة التي اصبحت مستلزمات رسمية او شكلية ضرورية لدعم وجوده الاجتماعي الفاعل . والنتيجة المترتبة على كل ذلك هي الجهود الذهنية والعصبية التي يبذلها الناس لتحقيق الانسجام المطلوب بين ما هو جديد وما هو تقليدي وهي جهود تترتب عليها مشاكل نفسية وعصبية تتراوح بين المستويات شبه المرضية البسيطة المتمثلة في العصاب الخفيف والمستويات المتقدمة والخطرة التي تتمثل في الشيزوفرينيا . ومع ان المرض العصبي والنفسي قد ازداد حسب المؤشرات الطبية والعيادية في الوطن العربي الا ان الحالة الصحية والنفسية والعصبية في الوطن العربي لا تزال تشكل خطورة اقل من خطورة المشكلات الاجتماعية المصاحبة لتكيف العلاقات التي تنظم عمليات التفاعل الاجتماعي بكل اشكاله وصوره .

ولا شك ان قدرة المجتمعات على التكيف الى الاوضاع الجديدة تحدد امكانيات التقدم ، وهي قدرة لا تنشأ اعتباطا او بمحض الصدفة بل تأتي من التربية والتعليم الموجه الهادف الى غرس مؤهلات معينة يتطلبها هذا التكيف(٤) .

وبحكم الموقع الاستراتيجي لوطننا العربي وتزايد تفاعله السياسي والثقافي والتقني والعلمي والاقتصادي بالعالم فان عملية التكيف التي تواجهنا

---

4. Encylopedia of the Social Sciences, vol. 1, p. 486.

نتيجة لهذا التفاعل المركب يفترض لها ان تحدث بعض التعديلات في عناصر متفرقة من تركيباتنا الفرعية او الجزئية المتأثرة بهذا التفاعل . والمشكلة الرئيسية التي لابد للخبراء الاجتماعيين ان يقفوا عندها هي كيفية تحديد المسارات الثقافية الاجتماعية التي تسهل صعوبات التكيف المرافقة لهذه التعديلات . ولا يجهل الباحثون الاجتماعيون أن افضل صيغة لتحقيق هذا الصنف من التكيف هي المواءمة بين العناصر الجديدة والقديمة بشكل يسمح لقيمنا ومعاييرنا الجوهرية بالبقاء ، وفي الوقت نفسه لا يسد الطريق امام تقدمنا الاجتماعي والاقتصادي . ومع ان هذا الاتجاه المنهجي والفكري بطبيعته هو ما تفضله جميع دول العالم الثالث والوطن العربي على غيره من الاتجاهات الا انه لا يزال يعاني من الغموض فيما يتصل بالوسائل المطلوبة لتنفيذه ومدى ما يسمح به من التوازن والانسجام بين التأثيرات الجديدة الناتجة عن المستحدات التكنولوجية والاقتصادية والعلمية والفكرية والذوقية وبين ما يقابلها في واقعنا الاجتماعي والثقافي التقليدي من عناصر . وتزداد هذه المشكلة تعقيدا اذا ما تذكرنا أن سرعة تمثل واستيعاب الشخصية البشرية للامور التقنية والاقتصادية هي اعلى بكثير واقل صعوبة منها بالنسبة للامور الفكرية والايديولوجية والروحية والذوقية(٥) . ومما يضاعف في صعوبة هذا التوازن هو اعتماده على تكامل جهود الخبراء المعنيين بتذليله وتسهيله ، وهو تكامل حقق في مجال التنظير العلمي اكثر بكثير مما حققه في مجالات التخطيط والبحوث التنموية الميدانية والتطبيقية . فمع اتفاق طلبة المجتمع والثقافة العرب على الاهمية الحيوية لهدف تدعيم قيمنا الاجتماعية والثقافية الا أن الانشطة العلمية التي تدور حول هذا الموضوع لا تزال تعاني من نقص ملموس في توفير الخطط العلمية الواضحة لتسهيل مهام العاملين في مؤسساتنا الاقتصادية والسياسية والتعليمية والاعلامية ، وهي خطط ينبغي ألا تحتوي على مواصفات تجعل التغيير الاجتماعي يجري لصالح التنمية الاقتصادية والاجتماعية الثقافية من جهة ومن جهة اخرى يسمح لمجتمعنا العربي ان يحتفظ بخصوصياته الثقافية الرئيسية على الرغم من استجاباته الى تحديات التكنولوجيا والعلم المعاصرة وتناغم هذه الاستجابات مع عناصر حركة التقدم المعاصر . ولعل من أهم المحاور التي يدور حولها واقعنا التكيفي ما يأتي : ـ

---

5. Merton, R. op. cit. p. 162.

١ ـ مشكلة الانجاز :

ان نظرة بسيطة الى خلفيات الاسرة التي تمثل النمط السائد في وطننا العربي تثير بعض التساؤلات حول الكيفية التي تؤدي بها الاعمال · وغني عن البيان ان العرف القروي والريفي الذي نظم حياة هذه الاسرة جعل التقليد اساس السلوك الاجتماعي بكل جوانبه الاقتصادية والفكرية · ولهذا فان الواقع الاجتماعي في قرانا واريافنا العربية ظل في حالة من الجمود لعدة قرون وحتى بداية النهضة الصناعية والحضرية الحديثة ·

واذا كان التقليد قد سبب مع العوامل الاخرى كالقهر الاستعماري حالة الركود في المجتمع والاسرة فان حركة التقدم الاجتماعي التي نشهدها اليوم تستمد حيويتها من عوامل جديدة · ويسهل على الباحث ان يعزو الى العوامل التكنولوجية والاقتصادية والتعليمية الاثر الاكبر في حركة النهوض الحديث باعتبارها من ابرز العوامل واكثرها ظهورا · غير ان بعض المواقف او الاتجاهات الاجتماعية لا تستقطب الكثيرين من المعنيين بشؤون التغيير والتنمية نتيجة لطبيعتها الخفية او المستورة ومن هذه ما يثيره (مفهوم الانجاز) Concept of achievement من مواقف وردود فعل اجتماعية ·

ويبدو لي ان الحديث عن الانجاز في سياق المشكلات الاجتماعية يتطلب طرح عدد من الاسئلة المناسبة والمتواشجة مع هذا الموضوع وهي : ـ

أ ـ ما مدى الوعي الاجتماعي بالانجاز كضرورة لا يستغنى عنها في واقعنا الجديد ؟

ب ـ كيف يستجيب الناس الذين يعون اهمية الانجاز الى تحديات الواقع ؟

جـ ـ في اي مجالات الحياة تبرز فاعلية الانجاز وفي ايها تتضاءل ؟

ولعل السؤال الاول هو اخطرها جميعا · فعدم وعي الانسان بهذا المفهوم يعني بالطبع انعدام اثره كحافز سلوكي يفضي الى نماذج متميزة من العمل والاداء · فاذا زادت النسبة السكانية لمن ينقصهم هذا الوعي ازدادت تبعا لذلك نسبة المقلدين ، وضاقت رقعة الاعمال الاصيلة والمبدعة · وليس من حق الباحث ان يقدم آراء حدية قاطعة حول هذا الامر لخلو ارشيف مكتباتنا الانثروبولوجية والسوسيولوجية تقريبا من البحوث الميدانية الرقمية او الاحصائية المطلوبة · ومع ذلك وعلى ضوء مشاهداتنا اليومية المعنية والحياتية

(الحيوية) نستطيع القول ان هذا المفهوم لم يتغلغل عميقا في تركيباتنا النفسية ولا يزال في بداية تسربه الى انساقنا الاجتماعية المختلفة بالقياس لما حققه من ازدهار في المجتمعات الصناعية والحضرية المتقدمة(٦) .

ومن الناحية النفسية يعتبر السعي الفردي الحثيث لتطوير ما هو موجود بغض النظر عن المغانم او المكاسب المادية الشخصية اهم المؤشرات السايكولوجية لعمق جذور دافع الانجاز في الشخصية . وهذا بالطبع ينطوي على عنصر المغامرة الذي لا يجتذب الكثيرين من الناس بحكم الميل الاجتماعي والنفسي الى ممارسة ما هو مضمون ومجرب . فاذا كانت الصورة الاجتماعية والنفسية لواقع الانجاز هي اقرب الى ممارسة ما هو عادي ومتداول منها الى محاولة تطويره وتعديله لما هو افضل فان ذلك لا يدعو الى الادعاء بان آفاق الانجاز الاولية المعرفية والعملية المطلوبة لنشوء هذا المفهوم هي آفاق رحيبة . ويدرك خبراء المجتمع والحضارة والثقافة والنفس ان (الشخصية المنجزة) Achieving Personality يصعب تكوينها في ظل التقاليد الرتيبة بل لابد لها من نشوء اعراف او معايير تنمي في الشخصية حب الابداع Creativity ورفض القعود على ما هو موجود ومتعارف عليه من الاعمال .

ولكي ينمو وعي الناس بالانجاز في وطننا العربي ينبغي ان يركز خبراء المجتمع والثقافة على النقاط الاتية في بحوثهم وخططهم التنموية :

١ ـ التعمق في (اتجاهات) Attitudes وعادات العمل Work المعرفية وتحديد درجات تشديدها على مفهوم الاقتدار efficency والاجادة excellence في الاداء ، وعلى طول النفس والاحتمال ، واليقظة ، والحس الذاتي بالانتاجية المتميزة ، واستمرارية العطاء ، والانتظام ، في العمل ، والدقة في اداء الوظائف ، وروح الاستثمار البناء والاعتماد على النفس ، وتثمين التجريب وحب المغامرة بدافع اثراء ميادين الابداع ، والصمود في المحاولات العملية وتحفيز الطاقات الفكرية والفعلية ، وتنمية العادات الشخصية النشيطة الفاعلة بدلا من العادات المتواكلة الخاملة . هذه بعض الخلايا المركزية الهامة في تركيب الاسرة والمجتمع المؤثر بشكل او بآخر في خلق الخلفيات الاجتماعية الضرورية

---

6. Khan, Mazhar Ul Haq, Social Pathology of the Muslim Society. pp. 4-5.

لنمو الوعي الاساسي بمفهوم الانجاز ·

٢ ـ دراسة وتحليل العادات الفكرية والاخلاقية كتلك المتصلة بمبادىء نزاهة القصد ، والامانة ، والتطلعات المثالية الطموحة ، والاعتماد على النفس ، والاستقلال الفكري ، وحب الاستطلاع ، والتجرد الموضوعي واحترام الصدق والواقع وتثمين النقد والبحث عن الحقائق · وعمق النظرة الى الاهداف ، وضبط الذات وقوة الارادة ، والصبر والتواضع والاستعداد لضبط النفس ·

٣ ـ العادات الاجتماعية المركزية في وطننا العربي هي الاخرى تتطلب تحليلا علميا دقيقا يجريه المختصون بالميادين العلمية المختلفة للتحقق من تركيب الشخصية العربية الاساس ومؤهلاتها الاجتماعية لاستيعاب مفهوم الانجاز · ومن هذه العادات التي تشير الانتباه : التعاون ، والتسامح ، والقدرة على تفهم ظروف الاخرين والاستعداد لمنحهم العطف والمساندة في حل مشكلاتهم ، والقدرة على طرح النقد الصريح والعادل ، وسمات القيادة والتنظيم ، وروح المبادرة وحب العمل ، والحس الذوقي والجمالي ، وتقدير الموضوعية وغيرها من العادات الاجتماعية ·

ومن البديهي والواقع أن تاخذ خطط الخبراء الاجتماعيين التنمويين بضرورة فحص هذه الاتجاهات والعادات الفكرية والاجتماعية واستخلاص الامكانات التي يمكن ان تخدم في التسريع بحركة التقدم من زاوية الوعي الاجتماعي بالانجاز ·

ب ـ كيف يستجيب الناس الواعون باهمية الانجاز الى فرص الحياة وتحدياتها ؟ هذا السؤال الاساسي عن موضوع الانجاز يدفعنا الى التفكير بالاساليب التقليدية التي تستقطب اكثرية الناس فيما يتصل بتطلعاتهم الى الابداع والخلق · ويلاحظ استنادا الى البحوث الاجتماعية عن العالم الثالث بشكل عام أن الاستجابات التي تثيرها تحديات وفرص حياتنا الجديدة خصوصا في مجالات الابداع العلمي والفكري غالبا ما تلتزم اسلوب التقليد اولا ومحاولة تقديم اضافات تكميلية لما سبق تقليده من اعمال ، بدلا من السعي الى شق طريق جديد يعتمد التجربة غير مضمونة النتائج ·

جـ ـ في أي مجالات الحياة تبرز فاعلية الانجاز وفي أيها تتضاءل ؟ ان تقدم العلم في المجتمع يعتبر أهم الشروط المطلوبة للرقي الثقافي والاجتماعي والاقتصادي · ولاشك ان اهم المنجزات التي تفخر بها الامم هي المنجزات

العلمية والفكرية لانها تمثل اهم ركائز الحياة التي تحياها شعوب هـــذا العصر · وللوهلة الاولى ان الميادين المالية والاقتصادية ظلت تستقطب اعدادا اكبر من الناس بالقياس لما تستقطبه وتجتذبه الميادين الفكرية والعلمية · والمطلوب هو ان تتعمق البحوث الاجتماعية ـ انثروبولوجية وسوسيولوجية وسيكولوجية ـ (وغيرها من الاختصاصات) في هذه الظاهرة لتشخيص عناصرها التفصيلية وتحديد الوسائل التي تكفل الحد منها وتحييد او تلطيف آثارها على الكوادر العلمية والفكرية في الوطن العربي ·ولانحتاج الى كثير من العمق الاكاديمي لكي ندرك خطورة استمرار المغريات التي تنطوي عليها الاعمـــال التجارية والصناعية وحتى الزراعية والتقنية الخدمية بالقياس الى الاعمال والوظائف العلمية (الاكاديمية) والتعليمية والفكرية والادبية ·

ان مشكلتنا المعاصرة في الوطن العربي هي ان يسير التكيف الاجتماعي والفكري والنفسي بشكل يجعل كفتي التقدم المالي الاقتصادي والاجتماعـــي الثقافي تتقاربان · وهذا لا يمكن ان يتحقق الا اذا اضحى الانجاز في مجـالات الحياة كلها يحفز الناس باعداد متقاربة وبمستويات ابداعية متقاربة ·

٢ ـ مشكلة الاغتراب :

عملية التكيف في وطننا العربي تستدعي مراجعة وفحصا دقيقا لمشكلة آخذة بالاتساع هي ظاهرة الاغتراب(٧) Alienation . هذه الظاهرة المرضية تتفاقم في أعقاب اتساع الآثار النفسية والثقافية الناشئة عن التقدم الصناعي والتكنولوجي والاقتصادي · وفي ضوء الخلفيات القروية والريفية التي تشكل الاسس المركزية للشخصية المنوالية Modal Personality في وطننا ينبغي الا نستغرب من وجود هذه الظاهرة ولو بدرجات أولية ·

واهم ما يعنينا في التطرق الى الاغتراب في مجتمعنا العربي الكبير هو تزايد نسبة الناس الذين يتضاءل عندهم (الحس المعياري) Normative Sense ازاء الادوار التي يؤدونها في مجالات الوظيفة والعمل او في الميادين الاجتماعية غير الرسمية ايضا · فتضاؤل هذا الحس بطبيعته يمثل جوهر الاغتراب فـي مضمونه الاجتماعي والنفسي في نظر كبار المنظريـــن في عالمنـــا الفكـــري السوسيولوجي والثقافي ·

7. Henry, Jules. Culture Against Man, pp. 86-87, 214.

فالاغتراب على ضوء هذه الملاحظة يشكل خطرا كبيرا على لياقات السلوك الانساني الاجتماعية والنفسية في كافة الميادين الحياتية المادية والروحية عندما تواجه الافراد في هذه الميادين حالات من الانخلاع او الانشطار بين ما هو مطلوب وبين ما هو مالوف(٨) ٠

ويدرك المختصون في الانثروبولوجيا والاجتماع ان الجزء الاكبر من سلوك الناس ينبع عادة من ضوابط بنائية ثقافية واجتماعية الامر الذي يجعل هذا السلوك تلقائيا قليلا في تناقضاته وصراعاته الفكرية والانفعالية ٠ وهذا ينطبق بشكل خاص على الواقع السلوكي لسكان القرى والارياف التي لم تجتحها رياح التغيير الصناعي والتكنولوجي ٠

واذا كانت ظروف الحياة والعمل في مدننا العربية الكبيرة بشكل خاص وجميع المدن بشكل عام لم تعد تسمح للتركيبات التقليدية القرابية والقروية بالاستمرار في تنظيم السلوك الاجتماعي والوظيفي نتيجة لظهور التركيبات والنظم التكنولوجية والادارية والاقتصادية الجديدة فان واقع السلوك الجديد بطبيعته يولد وضعا من الاغتراب يختلف ويتفاوت حسب خلفيات الافراد الثقافية والاجتماعية ودرجة ابتعاد انماط العمل الذي يؤدونه او مستوى المعيشة التي يعيشونها عن النماذج التي الفوها ودرجوا عليها في السابق ٠

وابرز واوسع اشكال الاغتراب انتشارا هو (الاغتراب الوظيفي) وهو الحالة الثقافية الصعبة التي تواجه الافراد العاملين في المؤسسات الصناعية التي اجتاحتها تيارات التحديث في مجال الآلات والمعدات المتقدمة ونظم التنظيم والاشراف الاداري المعقد ٠ كما يظهر في صور تختلف في المؤسسات الرسمية المختلفة التي تشتغل فيها كوادر الموظفين وفقا لقواعد بيروقراطية وشكلية محددة تبتعد كثيرا اوقليلا عن انماط السلوك التي اعتاد عليها الموظفون في بيئاتهم الاجتماعية الاصلية خصوصا عندما تكون تلك البيئات ذات طابع ريفي او قروي نابع من العلاقات الشخصية والقرابية والمحلية العميقة ومن التقاليد ذات الاطر الروحية والاخلاقية المصممه لادامة وخدمة تلك العلاقات ٠

---

٨ ــ التوري ، قيس ٠ ، الاغتراب : اصطلاحا ومفهوما وواقعا ٠، مجلة عالم الفكر ٠ العدد الاول ــ ابريل ــ مايو ــ يونيو ١٩٧٩ ٠ ص ص١٣ــ٤٠ ٠

وبالنظر الى أن لكل من هذه المؤسسات نظمها الفكرية والسلوكية والتقنية والادائية المحددة التي يجد العاملون فيها انفسهم مضطرين لتعلمها ، فان ذلك يقتضي حلولها كثقافات فرعية sub-cultures تستأثر بالقسط الاكبر من اهتماماتهم الذهنية والانفعالية · ولما كان ذلك لا يتم بسهولة ـ خصوصا في المجتمعات النامية حديثة العهد بعملية التنمية الصناعية والادارية ـ فان الفجوة الفكرية والعاطفية الثقافية والسوسيولوجية بين هذه الكوادر وبين مؤسساتها ودوائرها تصبح حالة ملموسة ·

ومن ابرز النتائج السلبية للاغتراب الوظيفي هو ضعف الشعور بالانتماء وتدني روح الحرص وضمور دافع الابداع وسيطرة اللامبالاة ، وهي نتائج يتطلب علاجها توفير حوافز مختلفة لهذه الكوادر وتنطوي على عنصر التعويض عما يفتقدونه من انماط حياتهم التقليدية في اجواء مؤسساتهم ·

ومن ظواهر الاغتراب التي تصاحب عملية التصنيع والتحضر هي حالات الاختفاء التدريجي والسريع نسبيا لصنف الاسرة التقليدية الممتدة extended family وللاحياء الشعبية في المدن · وهي حالات من شأنها تقليص العلاقات الانسانية وافقارها فكريا وعاطفيا · فمدننا العربية ـ والكبيرة منها بشكل خاص ـ تشهد في الوقت الحاضر نموا صناعيا وتجاريا كبيرا ادى الى توسعها العمراني بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخنا العربي والاسلامي الطويل · وتمثل المناطق السكنية الحديثة او العصرية الجانب الاكبر لهذا الاتساع العمراني · ومع ما يتوفر في هذه المناطق من عناصر الرفاه الصحي والذوقي والخدمي المتطور الا انها لا تمنع من فرص التواصل والتفاعل الانساني الا قدرا ضئيلا بالقياس لما اتسمت ولا تزال تتسم به بعض الاحياء الشعبية الموجودة بصورة متفرقة ومبعثرة داخل المدن او في حافاتها · فسكان المناطق السكنية الحديثة ـ بناء على الملاحظة الحياتية للباحث وربما للكثيرين غيره ـ يفتقدون الاجواء الاجتماعية التي منحتها اياهم الاسر الممتدة التي تمزقت والقرى والاحياء الشعبية التي اختفت · فقد تلاشت مع تلك الاحياء تقريبا كثير من المرتكزات الثقافية التقليدية التي كانت تغذي روح التقارب والصداقة ومن ابرزها مقاهي المحلة ودواوين ومجالس الاصدقاء والضيوف التي كانت تحفل بها حجر الاستقبال في البيوت او اللقاءات العائلية الكثيرة التي كانت تحصل في اوقات غير محدودة لخلو علاقات الجيران من الكلفة الرسمية التي صارت تطبع علاقات

سكان المناطق الحديثة اليوم ·

أن العزلة الاجتماعية التي تواجه الاسرة الحضرية العربية يمكن ان تعالج عن طريق انشاء المنتديات العائلية والاجتماعية والترويحية والثقافية والرياضية وخلق التوجه المناسب لديها للافادة من هذه المؤسسات لكي تكون بديلا للانساق القروية والمحلية التي اعتمدت عليها علاقات الناس في الماضي غير البعيد · فالمؤمل أن تتضافر جهود جميع الخبراء الاجتماعيين لتجنيب المدن العربية تلك التجارب التي تعرضت وتتعرض اليها المدن الاوروبية والامريكية وفي طليعتها سيطرة الاجواء الصناعية والتكنولوجية والتجارية وتفشي الروح النفعية والفردية والانعزالية وما سببته من آثار نفسية واجتماعية ضارة ·

ثانيا : المشكلات القطعية

١ ـ المشكلات التكنولوجية الاقتصادية :

التكنولوجيا في عصرنا تمثل قمة الابداع الاختراعي الانساني · وبغض النظر عن التفصيلات الكثيرة المعقدة التي يبحثها خبراء الهندسة والصناعة في هذا الحقل ، فأن الخبراء الاجتماعيين من جانبهم قد ابدوا اهتماما متزايدا بدراسة الابعاد الاجتماعية والثقافية والنفسية التي تنشأ عن التقدم التكنولوجي والاقتصادي · ومع المنافع الكثيرة التي جلبتها التكنولوجيا الى انسان هذا العصر فقد نشأت اوضاع اجتماعية ونفسية غير ملائمة لدعم الحياة الاجتماعية المتوازنة والمستقرة ومن بين المشكلات التي نلمسها في واقعنا التكنولوجي والاقتصادي المعاصر ما يأتي : ـ

ا ـ الآلة والانسان :

كثير من مشكلاتنا ينتج من الصعوبات الناشئة عن اتساع استعمالات الآلات والوسائل التكنولوجية الحديثة · فالمواطن في ارضنا العربية قد لمس الفوائد العديدة من استثمار الادوات والآلات التقنية الآلية المتقدمة في حياته البيئية · وهو ايضا يستعملها في ميادين الوظيفة والعمل والخدمة · واهم سبب اوجد الصعوبات والتعقيدات في مجال التكنولوجيا هو التباين الكبير بين التطور او النمو الكمي للامكانيات التكنولوجية والتأهيل النوعي (الكيفي) للانتفاع من هذه الامكانيات · وتنعكس هذه الناحية في مجالات متعددة منها (مثلا) التفاوت بين التقدم

في مستوى الآلات والاجهزة التي يستعملها المهنيون والحرفيون وبين دقة وضبط الخدمات الفنية التي يقدمونها · ومن المشكلات التي يخشى ان تستفحل في المجال التكنولوجي هي مشكلة الاتكال على الآلة الميكانيكية وانعدام دور المهارة الفنية اليدوية والفكرية ، الامر الذي يعرض المستويات الحرفية والمهنية في مختلف ميادين العمل الى خطر التردي(٨) ·

ومن ابرز الاخطار التي تهدد مستويات الاجادة الحرفية هو التشديد على الربح · وهذا بطبيعته يسبب الانحدار المستمر لدرجات الابدع في الخدمات التي يقدمها اصحاب الاختصاص المهني والحرفي المعتمد على الآلات والاجهزة الحديثة · ان سرعة الاداء اصبحت اهم عناصر العمل الفني الجديد وقد ادى هذا الى زيادة اهمية الوقت وتحوله الى عامل معياري في تحديد اسعار الخدمات التي تقدم · فالمهنيون والحرفيون اليوم يقيسون قيمة خدماتهم على اساس الوقت الذي يبذل · وهم بشكل عام يطمحون الى تحقيق الحد الاعلى من الارباح في اجورهم اليومية ، الامر الذي يجعل مبدأ الكم يلعب دورا مركزيا في الميادين الحرفية والمهنية ·

ولاتقتصر آثار التكنولوجيا الحديثة على الحقول المهنية فقط بل تتجاوزها الى مجالات الحياة الاخرى · فالغزارة العددية غير الاعتيادية للسيارات في الاقطار العربية (مثلا) خلقت نوعين متزامنين للمشكلات وأولاهما هي المشكلة المرورية وما تنطوي عليه من الحوادث المأساوية المفجعة الكثيرة التي تحصل في الطرق داخل وخارج المدن · والثانية هي المشكلة الاقتصادية التي تنطوي على الهدر الناتج عن عدم الصيانة والادامة المناسبة لوسائط النقل ·

وهناك هدر في الوقت والمال ايضا ينتج من ميل الناس المتزايد الى التجول في سياراتهم ليس لغرض بلوغ مكان معين او انجاز مهمة معينة بل لمجرد اللهو وتمضية الوقت ، الامر الذي يخرج بالسيارة عن اهدافها المقصودة كوسيلة للمواصلات والتسلية البناءة · هذا الى جانب تفاقم مشكلة تلوث البيئة في مدننا نتيجة للغازات والضجيج التي تسببها الكثافة العالية للمرور في اكثر اوقات اليوم ·

ويمكن ان نكشف عن ظاهرة مرضية اخرى نتجت عن تدفق

---

8. Moore W. E. Industrialization and Labour. pp. 19, 20, 90, 94.

التكنولوجيا المتطورة الى ميادين حياتنا المختلفة وهي عدم « لحاق » مهارات الدقة والسيطرة والتوقيت المصاحبة لاستعمالات الآلات والاجهزة الحديثة بالخصائص التقنية العالية لهذه الاجهزة ومنها السرعة العالية واتساق وترابط عناصرها الحركية(٩) · ولعدم اقتراب مستوى المهارات والخبرات من هذه الخصائص فان استعمالات الوسائل التقنية الحديثة عندنا غالبا ما تكون مصحوبة بدمارها السريع وبالاخطار والاضرار البشرية التي تنتج من سوء الاستعمال الناتج بدوره من نقص المعرفة والخبرة ، او من العادات الفيزيقية الجسدية او الاتجاهات الذهنية التقليدية التي اصبحت ميولا لاشعورية تتحكم في حركات جسد الانسان · فحوادث مرور وسائل النقل (مثلا) هي في تصوري حصيلة ضعف التوقيت والموازنة بين الاعتبارات او العوامل الهندسية والميكانيكية والفيزياوية المتداخلة في حركة السيارة وبين معدل السرعة المناسبة · ويظهر هذا التفاوت بين تعقيدات الآلة وبين ضعف الخلفيات التقنية بشكل خاص في التفاعل الجاري بين حديثي التحضر او ضعيفي التأثر بالتقنية الصناعية ، وهذا ينطبق بشكل خاص على النازحين الجدد من الارياف الى المدن الذين يحتاجون الى درجات اعلى من التأهيل التقني بالقياس الى بقية مقاطع السكان في الوطن العربي ، وهو تأهيل يجب ان يحتوي على عناصر المعرفة العملية والخبرة والمهارة في الوقت نفسه ·

ان مشكلاتنا التقنية لاتقتصر على استعمالات الآلات والاجهزة المعقدة بل تتعداها الى العديد من الامور التي تبدو للوهلة الاولى بسيطة كاستعمال غاز الوقود او المواد الكيمياوية المنزلية المخصصة للتطهير الصحي او قتل الحشرات الضارة او المبيدات المستثمرة في الحدائق البيتية ، او المواد الطبية البشرية الوقائية والعلاجية او الادوات الالكترونية التي اصبحت عماد حياة الاسرة العربية بالنسبة لاحتياجاتها المختلفة بما فيها من تجميد الاطعمة الى تكييف الهواء الى طهي او تنظيف او غسل أو كي او تسلية كما في التلفزيون والفيديو

وعلى الرغم من عدم توفر الاحصائيات الحيوية يمكن القول ان الاساليب غير الصحيحة التي تسيطر على توظيف الناس للوسائل

---

٩ ـ علوان ، فجر جودة · القيم الحضارية واثرها في استخدام الزمن · ص ١٩٧ ·

التكنولوجية تسهم في خلق الكثير من المشاكل والمتاعب الصحية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والذوقية التي تجتاح حياتنا الجديدة خصوصا في المدن · وان دور الخبراء والباحثين الاجتماعيين من مختلف الاختصاصات ينبغي ان يتضمن فيما يتضمن التركيز والتشديد على وضع برامج متعددة ومتنوعة مصممة للتاهيل العلمي والتقني لمختلف الفئات الاجتماعية لرفع مستوى الناس بالنسبة للافادة من الامكانيات التقنية والاقتصادية الجديدة ، الى جانب برامج التوعية الاعلامية من صنف « سلامتك » ·

ب ـ تضخم الميول الاستهلاكية المظهرية :

هذه الظاهرة تحوي في طياتها مشكلات خطيرة ذات مضامين اقتصادية واجتماعية ونفسية ينبغي ان تثير اهتمام طلبة المجتمع في وطننا العربي · ومع ان معظم الاقطار العربية لا تزال في مراحل انتقالية حضرية وصناعية الا ان ظواهر الاستهلاك المظهري(١٠) ـ كما يلاحظ في حياتنا اليومية ـ لا تتناسب احجامها الكبيرة نسبيا مع طبيعة هذه المراحل · ومما يثير الانتباه ان التحسن الاقتصادي والمالي في واقع الاسرة العربية عموما ينشط طموحاتها واهتماماتها في ميادين حياتية متعددة ولكن ميدان الاستهلاك الاقتصادي والمظهري يمثل المحور الرئيسي الذي يستقطب الجانب الاكبر والاهم من هذه الطموحات والاهتمامات · ومن البديهي ان هذا الاتجاه يؤثر سلبيا على جوانب حياة الاسرة الاخرى فيضعف حركة تقدمها · فالانغماس الذهني في عناصر الرفاه الاقتصادي والمظهري كما هو حاصل عند نسبة متزايدة من سكان المدن العربية يعرقل نشوء الميول الثقافية والعلمية والفنية والادبية ، وهي ميول تتطلب توجهات اجتماعية وحضارية مختلفة من شانها ان تحفز الناس الى تخصيص قدر مناسب من مدخولاتهم المالية لشراء الكتب وتنمية المواهب الفكرية والفنية وتطوير الهوايات لدى ابنائهم عن طريق اقتناء او ممارسة الوسائل الكفيلة بذلك ·

فالاحتياجات التي تستقطب الناس لا ينبغي ان تقتصر على مجالات الالبسة الثمينة والاثاث المنزلي المبالغ باسعاره والبيوت بالغة الضخامة والتزويق والسيارات باهظة الثمن وغيرها من ميادين التبذير ، بل يجب ان توجه نحو تنمية وتطوير رغبات جديدة لدى

10. Veblen Thcrstein. The theory of the Leisure class. pp. 60.

الناس في الميادين الفكرية والعلمية والفنية التي تسهم في بناء الشخصية العربية المقتدرة والمتطورة ·

ولا يخشى من الاستهلاك المظهري لمجرد انه يسبب هدرا لثرواتنا الاقتصادية القومية بل ولانه يمكن ان يخلق معايير اجتماعية وثقافية جديدة غير ملائمة تدفع الناس الى التقليد والمحاكاة في هذه المجالات غير المجدية · فتسابق الاسر الحضرية ـ خصوصا الموسرة منها ـ نحو « الياقات » المظهرية قد يتسع مع تطور الاقتصاد العربي فيشمل اعدادا متزايدة من البشر ، الامر الذي سيهدر فرص التنمية الاجتماعية والثقافية ويحيل امكاناتنا الاقتصادية والمالية الى مجرد طاقات تهدر في سبيل تفاقم الميول السلوكية والذهنية المتعارضة وازدهار هذه الفرص ·

ان الاجواء الاجتماعية التي ينبغي ان يعمل خبراء التنمية الاجتماعية والثقافية على خلقها في مدننا العربية يجب ان تحفز الاسرة العربية نحو اكتساب الخصائص العلمية والفكرية الرفيعة المتطورة عن طريق تسخير قسط من مدخولاتها لتحقيق هذه الغاية بدلا من السعي غير العقلاني الى بلوغ « مكانة » اجتماعية « مرموقة » على اساس البهارج والفخفخة المرتبطة بعناصر الزينة ـ الامتلاك المظهري ـ هذه الاتجاهات غير العقلانية اذا تفشت في وطننا العربي ستسيء الى الكثير من جوانب حياة الاسرة الروحية والاخلاقية والعاطفية نتيجة لنمو نزعة التباهي والتفاخر المبنية على التفاوت في درجات الاقتناء المظهري ·

ولا شك ان ذلك سيسبب ارهاقا نفسيا وعصبيا للآباء والامهات المسؤولين عن اسرهم واطفالهم بسبب اضطرارهم ، بغض النظر عن ظروفهم المالية ، الى توفير المقتنيات والسلع المظهرية لتجنب النقد الاجتماعي او الظهور بالمظهر الذي يليق بالاسرة ، حسب هذا المنظور الحضري غير العقلاني · وهذا بالطبع سيجعل الاسرة تلهث وراء الكماليات وتوظف معظم طاقاتها الفكرية والفعلية من أجل هذا الهدف الحسي غير الرفيع ·

على ان الباحث يشعر بالصعوبات التي تواجه أية خطة يمكن ان تطرح للحد من التيارات الاستهلاكية المظهرية · ففي الوطن العربي لا تزال فئات المثقفين علميا ومهنيا وفكريا تمثل نسبة سكانية ضئيلة · وهي فئات تقع ضمن نطاق الطبقة الوسطى من الناحية الاقتصادية بالمقارنة مع فئات التجار والحرفيين الفنيين والمقاولين واصحاب المصانع

والشركات الصناعية ، وهي فئات تنقصها الثقافة العلمية · ولا شك ان الاتجاهات المظهرية الاستهلاكية عند أسر المثقفين غالبا ما تكون اكثر اعتدالا منها عند أسر الاغنياء غير المثقفين · ولهذا يؤمل ان يصبح نمط الاعتدال الاستهلاكي نمطا ثقافيا حضريا يحتذى · وهذا بالطبع يتوقف ليس على الخطط الثقافية الاجتماعية التي يضعها الخبراء النظريون ، بل وعلى ادوارهم الاجتماعية الفعلية النشيطة التي ينبغي ان تكون في صيغة التفاعل الاجتماعي مع بقية شرائح المجتمع للتأثير فيها بشكل مباشر لتنمية الاتجاهات العلمية والفكرية البناءة لدى هذه الشرائح لامتصاص قسط من ميولها الاستهلاكية غير المنتجة وغير المبدعة · واعظم المنجزات المتوقعة من الباحثين والخبراء الاجتماعيين في هذا الميدان هو ان ينجحوا في خلق ونشر المعايير الجديدة المفيدة والبناءة لتحفيز الطموحات والتطلعات الفكرية والعلمية الهادفة الى بلوغ المنزلات (المراكز) الرفيعة في حقول العلم والابتكار بدلا عن التطلع للمظاهر الاستهلاكية الزائفة التي لا تزال تجتذب الاعداد الهائلة من السكان الحضر في الوطن العربي ·

٢ ـ المشكلات المهنية :

الواقع المهني في وطننا العربي صار يزخر بالمشكلات ذات المضامين الاجتماعية والثقافية والنفسية · ومن المعلوم ان طلب العمل في المدن العربية كان ولا يزال اهم عوامل الهجرة الريفية وهو على هذا الاساس يعتبر في مقدمة المصادر المشتركة في التعجيل بعملية التحضر · وبعد ان كانت المهنة مصدرا متواضعا للرزق أصبحت وسيلة معقدة تحمل في طياتها الكثير من الطموحات الاقتصادية والاجتماعية · وبسبب اغراءات المهن الحضرية العديدة ظلت المدن العربية مراكز تستقطب حركات الهجرة من الارياف والقرى المحيطة بها وتؤثر سلبياً في احجام القوى الزراعية المنتجة ·

ونتيجة للتطور الاقتصادي المالي السريع الذي حصل في الاقطار العربية وانعكس على ميادين الحياة المختلفة وزيادة الطلب على الخدمات الحرفية والمهنية المختلفة فان الكوادر المهنية قد اتسعت بصورة سريعة لملاقاة زيادات الطلب على خدماتها · ونظرا الى ان الدوافع المالية والتجارية تتصدر بقية الدوافع في توزيع الايدي العاملة على الميادين المهنية فان المهن والحرف الاكثر ربحا ظلت تستقطب الاعداد الاكبر من الناس ·

أن استمرار جاذبية الاعمال والمهن المربحة على هذا المستوى في

الوطن العربي خصوصا في المجالات التي تفتقر الى التاهيل العلمي والمواهب الفكرية والذكائية سيكون لها اثار ضارة وعميقة على اكثر من جانب لحياتنا الاجتماعية والتعليمية(١١) ٠

ومن هذه الآثار التي بدانا نلاحظها خلال العقدين المتأخرين مثلا هو تسرب اعداد من العناصر العلمية والجامعية الكفوءة الى مهن بعيدة عن اختصاصاتها التي تاهلت لها ليس لسبب عدى كون هذه المهن كثيرة الربح وسهلة ٠ وفي الوقت نفسه اخذ عدد من الطلبة الجامعيين يبدون ميولا متزايدة نحو هذه الاعمال والفرص المهنية السخية فصار بعضهم يخطط وهو في مرحلة الدراسة لدخول تلك الاعمال حالما يحصل على الشهادة الجامعية اذا استطاع تجنب التوظف في احدى الوظائف الحكومية ٠ وفوق هذا كله فان كثيرين من طلبة الجامعات العربية يستثمرون جزء كبيرا من اوقات فراغهم في انشطة تجارية او مهنية او خدمات أخرى تمنح اجورا او ارباحا مغرية ، وهذا بالطبع يستنزف اوقاتهم التي ينبغي تكريسها لتحضير دروسهم ومراجعة الكتب العلمية لتوسيع افاقهم الفكرية ٠ ومن جهة اخرى فان تطلعات المثقفين وحملة الشهادات الجامعية اذا بقيت على هذا المنوال يخشى ان تضعف زخم وعنفوان طموحهم العلمي وتنقص من لياقات اعدادهم الاكاديمي ٠ هذا علاوة على تسرب اعداد متزايدة منهم الى مجالات عملية وتجارية لا تحتاج الى خبراتهم ومهاراتهم ومستوياتهم العلمية والفكرية الرفيعة النادرة التي ينبغي ان توجه وتوظف في ميادين الكفاءات العالية بحكم التصاقها الاقوى بالمستقبل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي الاستراتيجي للوطن العربي ٠

وهناك أثر سلبي آخر لحمى الارباح المصاحبة للانشطة المهنية والحرفية وهو اثر ينعكس على مستوى الاجادة والابداع والحرص الذي نلمسه في العديد من الخدمات والسلع ، هذا المستوى صار يعاني نتيجة للاندفاع مع الرغبة في الربح المستعجل والاثراء السريع ٠ فالحرفيون والمهنيون الماهرون والحريصون كثيرا على جودة خدماتهم أو سلعهم التي التي ينتجونها والذين كانوا يمثلون اكثرية العاملين في هذه الميادين الى زمن غير بعيد اضحوا اليوم يشكلون نسبا متناقصة ٠ ولا يرجع تناقص

11. Al-Nouri Qais. Modern professionalism in Libya : Attitudes of University Students. pp. 691-702.

الاجادة في الاداء المهني والحرفي الى الطموح التجاري والمالي الذي يقتضي السرعة في تقديم الخدمات او انتاج السلع فحسب بل والى التزايد المطرد في الطلبات العامة على هذه الخدمات والسلع أيضا · ومما يقلق حقا هو ان المستويات المتواضعة للاداء المهني والحرفي قد تخلق مع اتساعها درجات مندنية بصورة مطردة من الحس التقويمي والنقدي لدى المستهلكين والمستفيدين من هذه الخدمات والنتاجات ·

ونلمس اذا تعمقنا اكثر في عالم المهنة والحرفة ان الجري السريع وراء الثراء والغنى ـ بالاضافة الى آثاره المذكورة ـ قد ازاح وقلص بعض الحرف التراثية الشعبية الرفيعة التي ظلت ازمانا طويلة من تاريخنا تجسد روعة الابداع الفني العربي في مجالات النقش والزخرفة والحفر والصقل والرسم والسبك وغيرها من الصنائع التقليدية · فالعمل في بعض هذه الصنائع لم يعد يكفل مدخولات كافية لاعالة الاسر الخاصة بالصناع العاملين فيها بسبب عدم تناسب مردوداتها المالية وما تستغرقه من جهود مضنية واوقات طويلة · وفي ضوء كل هذه الآثار اضطر المجيدون من الصناع والحرفيين المبدعين الى ترك صنائعهم وحرفهم والانتقال الى الاعمال التي تضمن ربحا اكبر وجهدا ذهنيا وعصبيا اقل · ان مما يؤلم حقا ان بعض السلالات الحرفية التي عرف عنها الابداع والابتكار والتي مارست حرفها اجيالا عديدة قد بدأت بالافول لان ابناءها اليوم لم يعودوا يرغبون بتعلم حرف آبائهم بل استقطبتهم الاعمال والوظائف والفرص الجديدة المريحة والمربحة في الوقت نفسه على الرغم من افتقار هذه الفرص الى نوعية التحديات الفكرية والفنية التي كانت تمنحها الصنائع والاعمال التي تخلوا عنها ·

ولا ننسى ان المهنية الحديثة ، بغض النظر عن تباين مردوداتها المالية ، تعتمد فيما تعتمد عليه لغرض تطورها وارتقائها ـ على اجواء ثقافية واجتماعية محددة · فالربح وحده لا يكفي حافزا لتحقيق هذا التطور بل ينبغي ان يصاحبه الحافز الاجتماعي النابع من المواقف الفكرية والاخلاقية المتوازنة مع ضخامة اهمية الادوار المهنية والحرفية في مجرى واقعنا الجديد · فالنتائج التي تترتب على ضعف الحرص والاجادة الحرفية والمهنية في مجالات الخدمات الكثيرة التي اصبحت اساس حياتنا اليومية لا تقتصر على الهدر المالي والاقتصادي بل غالبا ما تتخطى هذه المجالات الى النواحي الصحية والفكرية والاخلاقية والذوقية التي تمثل عماد ثقافتنا العربية الاسلامية ·

٣ ـ مشكلات الاسرة .

موضوع الاسرة كما نفهمه انثروبولوجيا وسوسيولوجيا يعتبر واحدا من اهم مشاغل طلبة المجتمع بحكم مركزية وخطورة الوظائف المرتبطة بهذه المؤسسة او هذه الوحدة الاجتماعية . ولا يريد الباحث بحث الاسرة او وظائفها او طبيعة تركيبها بل يهدف الى تشخيص بعض المشكلات المتصلة بها .

فالواقع الجديد في وطننا العربي الى جانب التغيرات الايجابية التي انفتح عليها قد تعرض ايضا الى بعض التيارات المهددة . فالاسرة العربية بكل تأكيد قد قطعت شوطا بعيدا في حقول الارتقاء المتعددة وفي مقدمتها التحضر والتصنيع والخبرات المهنية والتقنية والاقتصادية ، وهذا كله جزء لا يتجزأ عن حركة التقدم التي تجتاح عالمنا المعاصر . فنسبة الامية قد تضاءلت بفضل حملات محو الامية كتلك التي حصلت في العراق ، والامراض التي عانت منها الاسرة قد تقلصت كثيرا ، وكذلك فرص العمل والتوظف قد اتسعت امامها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخها الطويل . ولكن وعلى الرغم من كل هذه المنجزات والنقلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فان الاسرة في وطننا العربي تواجه اوضاعا جديدة تنطوي على تعقيدات وصعوبات كثيرة .

واول هذه الصعوبات يتصل بالانقطاع الذي حصل في مجمل او مجموع الوظائف التي اعتادت على ادائها منذ اقدم العصور . وابرز مؤشرات هذا الانقطاع هو انقسام عملية التنشئة او التربية بينها وبين مؤسسات التربية والتعليم والتوجيه والاعلام الحديثة بعد ان كانت هذه العملية محصورة تقريبا في يدها .

وواضح ان هذا التغير قد قلص دور الوالدين وخلق فجوة بينهما وبين الصغار خصوصا في الاسر التقليدية التي يديرها آباء وامهات غير مثقفين . ان احدى المشكلات التي ينبغي ان يتيقظ خبراء الاسرة ازاءها هي مشكلة الفجوة الفكرية والحضارية والنفسية بين جيل الكبار وجيل الصغار في الاسرة وما يمكن ان يتولد عنها من صراعات سلوكية تهدد الوحدة والانسجام التقليديين بين افرادها .

وتكاد معظم مشكلات الاسرة العربية تتمحور حول الصعوبات التي خلقها واقع التصنيع والتحضر وتحول الاتجاهات الفكرية والاجتماعية عن المعايير التقليدية تحت ضغوط هذا الواقع .

ومن هذه المشكلات انكماش سيطرة الالتزامات القرابية ـ خصوصا

في مجال الزواج ـ على المتحضرين ازاء اقاربهم الاقل تحضرا · فكثيرون من سكان المدن العربية الذين اتوا من خلفيات قروية او ريفية اخذت مواقفهم المؤيدة للزواج والقرابة تضعف لصالح الزواج بالاباعد(١٢) · فالزواج بأبن العم parallel cousin marriage الذي كان واحدا من اقوى معايير الجماعات البدوية والقروية في ارجاء وطننا العربي قد تلاشى القدر الاكبر من تأثيره في المدينة العربية خصوصا بين الفئات الاجتماعية التي قطعت شوطا طويلا في مجال التحضر · وبالنظر الى أن درجات التحضر تتفاوت بين الاقارب خصوصا بين الذين وفدوا الى المدن من الارياف في اوقات قريبة وبين الذين مرت عليهم فترات طويلة فأن ذلك خلق تفاوتا في درجات قبول هذا النمط من الزواج · فابناء العمومة الراغبون باستمرار هذا المعيار يشعرون بأن رفض طلباتهم للزواج ببنات اعمامهم هو سلب صارخ لحق اساسي من حقوقهم التقليدية · اما المتحضرون من الاسر فيرون ان اختيار شريك الحياة بدون ضغوط عشائرية او قرابية يمثل حقا مدنيا مشروعا · ومما لا شك فيه ان التناقض بين هاتين النظرتين قد أسهم في اضعاف العلاقات القرابية واوجد سببا للنزاع والابتعاد بين ابناء الوحدات القرابية الواحدة ·

وضعف ايضا استعمال حق التدخل القرابي في شؤون الحياة الاخرى للاسرة من قبل افراد العشيرة الواحدة في ظروف الواقع الحضري · فاختيار المهن والوظائف قد اصبح حقا فرديا بعد ان كان خاضعا لقرارات الوحدات القرابية المتمثلة في العشيرة او الفخذ او الاسرة الممتدة · ومع ذلك لا يزال كثيرون من حديثي التحضر يرفضون ممارسة بعض اقاربهم لعدد من المهن او الوظائف التي ظلت في نظرهم غير مقبولة اجتماعيا ولهذا فانقسام الرأي بين افراد الوحدات القرابيه حول توظف اقاربهم في الميادين الحضرية المتعددة يمثل مشكلة جديدة تواجه الاسرة العربية الحديثة · وتتخذ هذه المشكلة اشكالا شتى منها التدخل المباشر لمنع القريب من دخول مهنة من المهن كما في دخول الفتيات المجالات الفنية خصوصا الفنون الايقاعية والموسيقية او الاعمال الخدمية المنزلية في البيوت الغريبة او مهنة التمريض او غيرها من الوظائف والمهن التي لم تتحسن نظرة بعض ذوي الخلفيات الريفية من سكان المدن كثيرا اليها · والى جانب التدخل المباشر لمنع الاقارب من الاستفادة من الفرص الوظيفية والمهنية الجديدة يمارس نمط اخر من

---

12. Al-Nouri, Qais. Changing Marriage Patterns in Libya. pp. 219-232.

الضغط احيانا وهو « النبذ » او « القطيعة » Baycott الجماعية للاسرة او الفرد المارق ·

وبتأثير من التشتت السكاني للوحدات القرابية الكبيرة نسبيا كالعشيرة والفخذ وبعد المسافات الجغرافية الناتجة عنه ضعف الاتصال الاجتماعي بين الاقارب · وفي ضوء ذلك تناقص باستمرار الالتزام القرابي بالمشاركة بالمناسبات المتعلقة بالاقارب ، كما تضاءل اداء واجب الزيارات للاقارب التي اصبحت متباعدة بحكم كثرة المشاغل ·

ونلاحظ ايضا زيادة تباين المستويات الثقافية والتعليمية بين الاقارب بعد أن كانت متقاربة · فالذين بكّروا بالهجرة الى المدن العربية استفادوا من فرص التعليم في وقت مبكر وصار عندهم ابناء يحملون درجات علمية في حقول مختلفة كالطب والهندسة والصيدلة وغيرها من الميادين العلمية والتجارية والانسانية · وقد سبب ذلك فروقا علميا بينهم وبين اقاربهم الذين تخلّفوا في القرى او الذين تركوا الارياف الى المدن في أزمنة قريبة · ان هذا التباين جعل الفرد ذا الثقافة العالية يشعر ببعد المسافة الذهنية والنفسية عن اقاربه ضعيفي الثقافة · ولا يخفى ما لهذا العامل من مردودات سلبية تنعكس على العلاقات القرابية ·

ومثلما افاد المبكرون في هجرتهم من القرى الى المدن بصورة افضل من فرص التعليم كذلك اصبحت حالتهم أحسن في المجالات الاقتصادية والمهنية بالمقارنة مع اقاربهم الاحدث وصولا الى المدينة · ولهذا فان الاختلاف الاقتصادي بين الاقارب اوجد حالات من الغيرة والحسد من جانب الذين لا يزالون في المراحل التكوينية من تقدمهم في ميدان العمل والوظيفة ، تجاه الذين حققوا درجات اعظم في هذا الميدان · وصار الاختلاف في المستويات الاقتصادية بين الاقل والاكثر تحضرا من الاقارب في المدن العربية عاملا عائقا لاستمرار عمق العلاقات التقليدية الذي اتسمت به صلات وروابط وبناء الوحدات القرابية والقروية والريفية · ان الانكماش المتزايد للتزاوج بين افراد هذه الوحدات الساكنين في المدن او بينهم وبين الباقين من اقاربهم في الريف هو واحد من المؤشرات الاجتماعية الهامة المرتبطة بهذا الانتقال الذي حصل في التجانس الاقتصادي والمالي التقليدي بين الاقارب الى الحالة الجديدة في المراكز الحضرية ـ خصوصا الكبيرة ـ في الوطن العربي ·

هذه التغيرات قد اسهمت الى جانب العوامل الاخرى التي لا يتسع

المجال لذكرها في تصعيد حاجة الاسرة الحضرية الى الاعتماد على نفسها في مواجهة مشكلاتها النفسية والاقتصادية بعد ان كانت تعتمد على علاقتها القرابية الاوسع في معالجتها ·

٤ ـ المشكلات التربوية :

الحديث عن المشكلات في الوطن العربي لا يمكن ان يخلو من بحث الواقع التربوي الجديد الذي يجسد اعظم تحديات الحياة المعاصرة ·

فالشخصية التي تتشكل اليوم في وطننا الكبير تمثل نموذج الانسان العربي الجديد الذي سيحدد مسيرة تقدمنا الحضاري والاجتماعي والاقتصادي ·

ورغم ان صورة الشخصية المتطورة تمثل النمط المثالي الذي يتطلع اليه اهل الاختصاص في التربية وعلم النفس والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع . وهو نمط ازداد وضوحا بفضل كثرة البحوث التربوية والنفسية عنه في الجامعات ومراكز البحوث العديدة · فان الباحث الذي لا يكتفي بمعرفة تلك الصورة المثالية المجردة مطالب بتحديد الظروف الموضوعية التي تحيط بواقع التنشئة الاجتماعية في وطننا العربي بما يكتنفه من عوائق ·

ولغرض الايجاز يمكن تشخيص العوائق الآتية في سبيل النهوض بالشخصية في وطننا الكبير ·

ا ـ تباين التوازن بين الانفعال والفكر

ان مشكلة كثيرين من المربين المتهنين والتقليديين هو نزوعهم للسلوك الانفعالي العاطفي اكثر من السلوك العقلاني · ولعل هذا يظهر في زيادة السخاء الذي تقدمه الاسرة العربية التقليدية في مجال رعاية الصغار الى الحد الذي يحيل عملية التربية الى مجرد ممارسة مختلف اساليب الحنان والعطف دون تركيز مقارب على النواحي الفكرية او العقلية · وحصيلة عدم الموازنة هذه كما نعرفها من البحوث الانثروبولوجية والنفسية الميدانية والمخبرية هي نشوء شخصية ضعيفة في جوانبها المتعددة يغلب عليها عدم الاستقرار والقلق وتذبذب المواقف ·

ب ـ تباعد الجوانب المثالية والعملية

بحكم الخلفيات الاسرية القروية والريفية التي تغلب على نسبة كبيرة من اسرنا العربية فان الجوانب المثالية التي تميز هذه الخلفيات لا تزال بعيدة عن المتطلبات العملية والواقعية الجديدة

التي تواجه عملية التربية ـ خصوصا في المدن ـ وكما اسلفنا فان اتساع رقعة الاعتبارات العملية يخلق ضغوطا على المربين تجعل مهمتهم في التوفيق بين ماهو موجود في واقع حياتهم اليومية وبين تطلعاتهم المثالية بالغة الصعوبة ·

ج ـ تناقض النظرتين التقليدية والحديثة الى المستقبل

لاشك ان التنظيم والتخطيط موجود مع الانسان منذ القدم · غير ان المشكلة هي أن التخطيط العصري المتقدم يمثل نظرة بعيدة الآن الى المستقبل بعكس النظرة التخطيطية التقليدية التي لا تبتعد كثيرا عن الحاضر · وهذا التفاوت ، مع الاسف الشديد ، لا يزال يتجسد في تنشئة الاطفال في وطننا العربي لان كثيرا من اسرنا ما تزال تعجز عن توليد الحس التنظيمي الهادف الى استيعاب خطط المستقبل البعيد ·

د ـ مشكلة الموضوعية والذاتية

ليس المقصود بطرق هذا الموضوع الدخول الى تفصيلاته الاكاديمية الوعرة بل هو توضيح النزعات التربوية الغالبة على كثير من اسرنا التي تقصر في تدريب اطفالها على التحرر من آثار الاعتبارات الشخصية في صنع احكامها وقراراتها · وهذا النقص اذا استمر في خلفية الافراد التربوية فانه بدون شك يحول دون نمو الياقات الذهنية والعاطفية المطلوبة لممارسة الاساليب الموضوعية في تقويم مشكلات الواقع المعاش · ونظرا الى ان خلفياتنا القروية وشبه القروية (المحلية) تعتمد على العلاقات الاولية Primary relationships وهي علاقات شخصية عميقة ، فان مهمة المربين الهادفة الى غرس الميول الموضوعية في تركيب الافراد النفسي في وطننا العربي هي مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد ·

ه ـ مشكلات المرأة :

لم يعد خافيا ان قضايا المرأة في الوطن العربي صارت تستقطب اهتماما متزايدا من قبل معظم اهل الاختصاص وفي مقدمتهم الانثروبولوجيون والسوسيولوجيون · ومع اتساع الآفاق الاجتماعية والتعليمية والمهنية والسياسية امام النساء اتسعت التعقيدات والصعوبات المحيطة بعلاقاتهن بمؤسسات المجتمع · فالمسؤوليات

الجديدة التي انيطت بالمرأة تتعدى ادوارها التقليدية المحدودة ـ التي كانت تدور حول واجباتها كزوجة وأم ـ الى الميادين الارحب المتصلة بانشطة الحياة الاخرى التي تجري خارج حدود الاسرة · ومع كل دور جديد اضيف الى حياة المرأة اضيفت تحديات جديدة كل منها يتطلب لمواجهة صنف معين من المعرفة والخبرة ·

ولا شك ان هذا كله يؤدي الى ظهور بعض المشكلات التي ترافق المرحلة الانتقالية الحاضرة لمسيرة المرأة العربية · ورغم تعدد هذه المشكلات وتوزعها على مجالات الحياة المختلفة فاننا لغرض الحصر والتحديد نبين ما يأتي منها : ـ

ا ـ المشكلات المعيارية

ان أول وابرز المشكلات التي تعاني منها حياة المرأة العربية هي (ازدواجية المعايير) Normative Duality فالتقاليد الريفية التي اعطت المرأة مكانة أوطأ من مكانة الرجل ظلت تسيطر على حياة غالبية الناس في وطننا العربي لاجيال عديدة وحتى بداية النهوض الحديث الذي بدأ مع تصاعد حركة التصنيع والتحضر والتعليم التي نقلت المرأة من تلك المكانة الى مواقع ارفع · ولكن التغيير الذي حصل في اتجاهات الناس المعيارية ازاء تحرر المرأة من قيود الماضي التقليدي بحكم طبيعته الانتقالية خلق وضعا اجتماعيا ونفسيا يتسم باختلاط آثار القيم الريفية والحضرية ، وهو اختلاط سبب ارباكا لاستقرار حالة المرأة في سياق الواقع الاجتماعي والاقتصادي الجديد · فالمرأة لا تستطيع التركيز على ادوارها الاجتماعية الحديثة من زاوية القيم الجديدة التي نشأت مع المؤسسات الحضرية والتعليمية والتكنولوجية المستحدثة بل تشعر بضرورة مراعاة كثير من الاعتبارات التقليدية التي بقيت تمارس سلطة واضحة على سياق الانشطة التي تعمل فيها · ان هذا الوضع يُعرِّضها الى حالات سلوكية تتسم بالتناقض وعدم الانسجام المطلوب للأداء الوظيفي والمهني الفاعل والمقتدر ·

ب ـ المشاركة في القرارات

من الملاحظ أن اهمية الانسان الاجتماعية تنبع من الوزن الذي تكتسبه آراؤه في نظر الآخرين · والمرأة العربية تُظهر تطلعا متصاعدا نحو المزيد من المشاركة في الآراء والقرارات التي تؤثر في

حياتها الاسرية والاجتماعية والثقافية(١٣) · ومما يعزز نمو هذا الاتجاه هو تزايد اعداد النساء المتعلمات والمثقفات والمهنيات والمؤهلات سياسيا واداريا · والذي ينبغي ان ينتبه اليه الباحثون المعنيون بالمرأة والاسرة هو آثار اتساع مشاركة المرأة في القرارات الأسرية والاجتماعية على تركيب الاسرة والزواج اولا وعلى مجمل العلاقات المهنية والوظيفية التي تحدد مسيرة واقعنا الصناعي والاقتصادي والاداري والسياسي ·

ج ـ مشكلة التأهيل الوظيفي

لاشك ان الباحثين الاجتماعيين المؤهلين وذوى الحس العلمي والميداني المرهف يشعرون بالصعوبات العملية الوظيفية والمهنية التي تتحدى المرأة · ونتيجة لتراكمات الماضي الاجتماعية والثقافية بقيت المرأة لعدة قرون أقل تأهيلا من الرجل في مجالات العمل الوظيفي والمهني بالقياس الى مؤهلات الرجل · وبهذا لابد للباحث الاجتماعي وخبير التخطيط والتنمية الاجتماعية والاقتصادية أن ينبّه الى خطورة تباين هذا التأهيل الوظيفي وضرورة التركيز على تعويض المرأة في هذا السياق بتكثيف البرامج التدريبية والتأهيلية المتعددة المخصصة لرفع مستويات قدراتها في مختلف الميادين الوظيفية والعملية الجديدة التي دخلت اليها بعد ان كانت مقفلة في وجهها ·

د ـ مشكلة توازن الادوار الاسرية والوظيفية

أن من ابرز مشكلات الاسرة العربية الحضرية التي تواجه المرأة هي مشكلة التوفيق والمواءمة بين ادوارها كزوجة وأم وادوارها الرسمية في مجالات العمل او الوظيفة او المهنة · ونظرا الى حداثة تحرر المرأة العربية فان انجذابها الى العمل خارج البيت قد يتخذ اشكالا متطرفة تهدّد مكانتها الاسرية كأم وزوجة · ويدرك خبراء المجتمع ان الغرض من تحرر المرأة الاجتماعي والاقتصادي يهدف الى رفع مستوى لياقتها وقدراتها الفكرية والتقنية والانسانية المرتبطة بخدماتها وادوارها المتصلة بالاسرة

١٣ـ النوري ، قيس · مشاركة المرأة في اتخاذ القرارات الاسرية · بحث قدم الى الاتحاد العام لنساء العراق ، ١٩٨٣ ·

والمجتمع . وليس من المقبول علميا ان يختل توازن هذه الخدمات لصالح هذا الطرف دون ذاك . ولهذا فان خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الناجحة تهدف فيما تهدف الى تطوير مشاركات المرأة في الحياة الاجتماعية العامة خارج الاسرة وهي في الوقت نفسه لا تفصل الاهمية الكبيرة لادوار المرأة المتصلة بحياتها الاسرية بكل جوانبها .

نتائج البحث :

تناول بحثنا هذا بعض المشكلات الاجتماعية التي تستاثر باهتمام الباحث الاجتماعي المختص بعلم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع في الوطن العربي . وقد سعى الباحث الى تسليط الاضواء على جوانب وابعاد متعددة لواقعنا السلوكي والفكري المتصلة بهذه المشكلات . وعلى ضوء ما تقدم يمكن ان نخلص الى الملاحظات الآتية :

١ ـ ان عددا غير قليل من مشكلاتنا يتفاقم لضعف تاكيد المؤسسات والاجهزة الرسمية على الأبعاد والمضامين الثقافية والاجتماعية والنفسية التي اضحت الآن تحدد الجانب الاكبر والاعمق من هذه المشكلات . فالنظرة التكنولوجية والاقتصادية لا تمنح العوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية الا قدرا ضئيلا من الاهتمام . وقد نسي هؤلاء المبهورون المأخوذون بسحر التقدم الصناعي والتقني أن الانسان الذي خلق كل المنجزات الاختراعية لم يكن حصيلة التدريب المختبري فحسب بل هو ناتج مركب اسهمت في تكوينه النظم والمعايير الثقافية والاجتماعية التي اوجدت فيه التوجهات والحوافز والتطلعات الفكرية والعلمية والانسانية الرفيعة التي رفعته الى مستوى هذا الاعجاز الاختراعي . ولهذا كله لابد من تاكيد الموازنة العادلة بين الاعتبارات المالية والاقتصادية والتقنية وبين الاعتبارات الاجتماعية الثقافية في تصميم جميع الخطط القادمة الهادفة لمعالجة مشكلاتنا العربية في مجالاتها المحددة .

٢ ـ مما يدعو الى القلق أن بعض مثقفينا وخبرائنا المجتمعيين لا زالوا يعانون من سيطرة النزعة الطوباثية والمثالية المجردة على تفكيرهم الاجتماعي على الرغم مما طرأ على واقعنا الاجتماعي العربي من تحولات سياسية واقتصادية وفكرية عميقة . فبعضهم مثلا لايريد أن يفهم مشكلاتنا الجارية من خلال المنظور الامبيريقي الميداني ،

متصورا ان هذا المنظور ينخفض به الى مستويات اقل رفعة من مراتب الفكر الفلسفي المجرد الذي درج عليه ووَجَد فيه الراحة والبهجة · وهذا النفر من الباحثين والكتاب غالبا ماتنقصه لياقات البحث الميداني والامبيريقي على الرغم من انتمائه الشكلي أو الرسمي الى حظيرة العلوم المجتمعية ، الامر الذي يجعل وجوده السكاني ذا وزن اكبر بكثير من وزنه الاكاديمي والتطبيقي في مجمل المشاركات المطلوبة في دفع عمليات التنمية الاجتماعية ·

٣ ـ ونلاحظ أيضا ضعف الميل الى التعاون بين اهل الاختصاصات المختلفة على الرغم من التحسن البسيط الذي طرأ عليه مؤخرا · ولا يخفى علينا ان المشكلات التي تواجهنا بطبيعتها ترتبط وتتعانق فتجعل التعاون والعمل العلمي المشترك بين اصحاب الاختصاصات الاجتماعية المتعددة شرطا ضروريا لمعالجتها · على ان هذا المطلب لا يزال يصطدم بعقبات مختلفة · فبعض المختصين يرفض النظرة الشمولية التي تتجاوز التخصص الدقيق الى المجالات التي يتداخل فيها التخصص الدقيق مع بقية الاختصاصات · يضاف الى ذلك ان بعض المختصين في وطننا العربي لا يفهمون من اختصاصهم غير الموضوع الذي كتبوا عنه رسالتهم للدكتوراه ، مما يجعل قدراتهم على المشاركة في المشروعات العلمية والميدانية التعاونية التي تتعدى ذلك الموضوع أمرا غير ممكن ·

٤ ـ ومع ما تقدم فان بوادر التقدم في مجالات البحث الاجتماعي عن المشكلات أصبحت واضحة بالقياس لما كان عليه الاهتمام بهذا النوع من البحوث · ولعل هذا كما اعتقد يرجع الى الضغوط المختلفة التي ولدتها مشكلاتنا الاجتماعية التي اصبحت تنغص علينا حياتنا على الرغم مما تحقق في اقطارنا من رخاء مادي وتقدم صناعي · وهذا الموضوع الاجتماعي المعقد قد زاد في طلب المؤسسات الحكومية على خدمات الباحثين الاجتماعيين ·

٥ ـ ان الحركية العالية لتغير اوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية قد اوجدت مشكلات ضخمة تتطلب تكيفا اجتماعيا ونفسيا للانسان العربي ، وهو تكيف لا يحصل بشكل تلقائي او ميكانيكي بل لابد من توجيهه عن طريق البحوث العلمية المبرمجة · ويبدو ان مشكلات الانفصال او الانخلاع النفسي والاجتماعي والفكري والسلوكي والمعياري هي من بين ابرز المشكلات التي تتحدى خبراء البحث الاجتماعي · فالاغتراب الذي يحتضن معظم هذه المشكلات هوداء وبيل تهدد جذوره ، لو تعمقت

في تركيبنا الاجتماعي والثقافي ، علاقاتنا الاجتماعية المتوازنة بالتفكك ، كما تنذر بناء الشخصية المطلوبة لتحقيق طموحاتنا العربية الكثيرة بالتداعي والضمور النفسي والسلوكي · ولا يخفى أن معالجة المشكلات الكثيرة المؤثرة في حياة الكوادر العلمية والمهنية ينبغي ان تحظى بالأولية لان هذه الكوادر هي التي تعاني من ازمات الاغتراب بحكم التفاوت الكبير بين تطلعاتها المستقبلية الطموح المبنية على وعيها العلمي والسياسي والاجتماعي والانساني العالي وبين الواقع الذي يحيط باعمالها وحياتها بما فيه من منغصات ومشكلات واحباطات ·

٦ ـ ان مشكلة الانجاز achievement كمفهوم حضاري واجتماعي هي مشكلة بارزة في حياتنا لعدم تبلور هذا المفهوم في شخصية الافراد لضعف جذوره في تربيتهم العائلية ، ولأن اجواء المنافسة الهادفة الى شحذ مواهب الافراد لم تتطور الى المستويات التي يطمح اليها خبراء البحث التربوي والنفسي · هذا بالاضافة الى أن المناخ الاجتماعي الذي يستمد الناس منه حوافزهم السلوكية والفكرية لا يزال يغلب عليه الركود لضعف عناصر التشجيع والتقدير فيه للاعمال الفكرية والعلمية المتميزة والمبدعة ·

٧ ـ تطرق بحثنا ايضا الى بعض المشكلات التكنولوجية والاقتصادية كما تنعكس على الصعوبات والتعقيدات الناشئة عن اتساع استعمالات الآلة الحديثة في ميادين حياتنا المتعددة في بيوتنا ومرافقنا الصناعية والزراعية والخدمية · فالتأهيل التقني الناقص وضعف الوعي الاجتماعي والانساني والعلمي المطلوب لتحقيق الفوائد المطلوبة من عناصر التكنولوجية الآلية المتقدمة خلقت الكثير من الآثار الجانبية السلبية لهذه الاستعمالات · فحوادث السيارات الكثيرة ومعدلات الحوادث التقنية الاخرى في مجالات استعمالات الآلات والاجهزة المتطورة ، ومؤشرات الاتلاف والهدر المرافقة لهذه الاستعمالات لضعف روح الحرص والصيانة عند المواطنين هي من بين هذه الآثار الملموسة التي ترافق التكنولوجيا الحديثة في وطننا · هذا الى جانب تفشي روح الاستهلاك المظهري Conspicuous Consumption والاسراف العابث نتيجة للتحسن الكبير والسريع في المستويات الاقتصادية للمواطنين وعدم ارتفاع مستوياتهم الثقافية والعلمية بدرجات مقاربة لتحسن اوضاعهم المالية ·

٨ ـ مشكلات العمل المهني والحرفي والوظيفي قد برزت في حياتنا الى حدود خطيرة نوليدها في بحوثنا الاجتماعيه · فالخدمات التي يقدمها كثيرون من المهنيين لا تتناسب مستوياتها النوعية والاجور الباهظه التي يتقاضونها عنها · ولا يرجع تردي نوعيتها الى التأهيل التقني الضعيف بل والى ضعف الشعور بالمسؤولية وضمور الحس الانساني الحضاري · ومما يؤسف له ان ضعف الحرص والجشع لا يقتصر على الفئات الحرفية والمهنية ذات الثقافات العلميه الواطئة بل تتعداها الى بعض المهنيين من حملة الشهادات الجامعية · وعالجنا ايضا خطورة التفاوت بين الاوضاع العلمية والانجذاب الى فرص الكسب المالي لدى شبابنا ·

٩ ـ وكانت بعض مشكلات الاسرة من بين ما ناقشناه في بحثنا هذا · وشددنا بشكل خاص على المشكلات الاجتماعية والثقافية التي فرضتها تجارب الاسرة العربية عموما والحضرية خصوصا مع الحقائق الجديدة التي افرزتها عملية التصنيع والتحضر · فالزواج التقليدي مثلا قد اهتز وضعف امام انماط الزواج الحضري غير القرابي ، وهذا التحول بطبيعته اوجد مشكلات متعددة للاسرة · وضعف الاتصال بين الاقارب هو مشكلة اخرى نلاحظها بدون صعوبة وهي بالتاكيد اوجدت حالة من العزلة الاجتماعية التي ظلت بدون حل في مدننا التي استمرت تميل الى الطابع اللا شخصي واللا قرابي الذي لا يشجع انتعاش العلاقات الانسانية العميقة كبديل للعلاقات القرابية والقروية · كما نشأ تفاوت فكري وذوقي وعلمي بين افراد الوحدات القرابية المتعددة بسبب تشتت وتنوع الفرص الثقافية التعليمية امامهم مما اوجد مسافات نفسية وذهنية اكبر مما شعروا به قبل انشطار وحداتهم القرابية بسبب عملية هجرتها الى مدن متفرقة ·

١٠ـ تضمن بحثنا بعض المشكلات التربوية حيث شددنا على توازن وتكامل الشخصية العربية كهدف يستحق ان تتمحور حوله خطط الخبراء · واشرنا الى بعض المعوقات الاجتماعية والثقافية التي تواجه الخطط العلمية الهادفة الى النهوض بالانسان العربي في كافة المجالات ، وقدمنا بعض المقترحات للتغلب عليها ·

١١ـ وكانت مشكلات المرأة هي آخر ما بحثناه حيث اوضحنا أن مسيرة مجتمعنا العربي الكبير تشترط فيما تشترط أن تمنح المرأة فرصا متكافئة الى جانب الرجل لكي تعوض عما فاتها عبر قرون

الاهمال الطويلة ·

وهذا يتهيأ لها عن طريق فرص التعليم والتاهيل المهني والوظيفي والحراك الاجتماعي وتقويم المنجزات الفردية ، وغيرها من المجالات التي اصبحت تحتاج مساهمات المرأة العربية بدرجات لا تقل عن حاجتها لمساهمات الرجل ·

وختاما اود أن ابين أن جولتنا الفكرية التي استغرقتها الصفحات السابقة كانت جولة سريعة واشعر بأن واجبنا يقضي بأن لا نكتفي بما كتبناه وكتبه غيرنا من الباحثين عن المشكلات الاجتماعية ، بل أن حاجتنا الى التعمق في عوالم هذه المشكلات وتعقيداتها وآثارها المتصاعدة المتشعبة في حقول حياتنا الكثيرة هي حاجة مستمرة ونامية ·

المصادر العلمية حسب تتابعها في البحث

1. Merton, R. K., Social Theory and Social Structure, (The Free Press, Glencoe, Illinios, 4th Printing), 1961.

2. Mead, Margaret, Cultural Patterns and Technical Cnange, (Unesco, A Mentor book, Second Printing), 1957.

3. Spicer, E. H., Human Problems in Technological change, (Russel Publications, New York). 1952.

4. Seligman, Edwin R. A., Encyclopedia of the Social Sciences, (Vol. 1, The Macmillan Co., New York, 13th Printing), 1959

5. Merton, R. K., op. cit., p. 162.

6. Khan, Muzhar UlHaq, Social pathology of Muslim society, (Amar Prakshan, Delhi), 1978.

7. النوري ، قيس ، الاغتراب : اصطلاحا ومفهوما وواقعا ، (مجلة عالم الفكر ٠ العدد الاول) ، يونيو ١٩٧٩ ٠

8. Moore, Wilbert E, Industrialization and Labor, (Ithaca and New York, Cornell University Press), 1951.

9. علوان ، فجر جودة ، القيم الحضارية واثرها في استخدام الزمن ، (رسالة ماجستير ٠ جامعة بغداد) ، ١٩٨١ ٠

10. Veblen, Thorstein, The theory of the Leisure Class, (A Merton Book, published by the New American Library, 3rd Printing), 1957.

11. Al-Nouri, Qais "Modern Professionalism in Libya" International Social Science Journal, Unesco, Vol, XXVIII, No. 4, Paris, 1975.

12. Al-Nouri, Qais, Changing Marriage Patterns in Libya, (Attitudes of University Students, Journal of Comparative Family Studies, Vol. XI, No. 2, The University of Calgary, Alberta, Canada), 1980.

١٣ـ النوري ، قيس ، مشاركة المرأة في اتخاذ القرارات الاسرية (بحث قدم الى الاتحاد العام لنساء العراق) ، ١٩٨٣ ٠